محمد الغزالي

الإسلام المفترى عليه

بين الشيوعيين والرأسماليين

١٧

طبعة جديدة محققة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

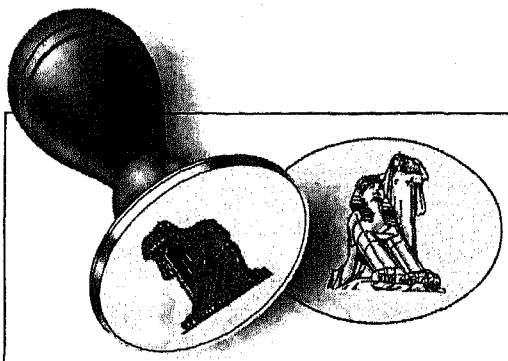

اسم الكتاب	الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين
اسم المؤلف	الشيخ محمد الغزالى
تاريخ النشر	طبعة أولى مارس ١٩٩٧م .
	طبعة ثانية إبريل ١٩٩٩م .
رقم الإيداع	٤٩٣٤ / ١٩٩٩م .
الترقيم الدولى	I . S . B . N 977 - 14 - 0936 - 0
الناشر	دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
المركز الرئيسى	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .
	مدينة السادس من أكتوبر .
	ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط)
	فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦
مركز التوزيع	١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
	ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥
	فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص.ب: ٩٦ الفجالة .
إدارة النشر	٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
	ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤
	فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ص.ب: ٢٠ إمبابة .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« فى سبيل الله ... »

« والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان »

(دراســـة)

هذا الكتاب هو ثالث خمسة كتب ، كتبهم الشيخ الغزالى قبل الثورة ، أراد به أن ينقى الأذهان الملوثة من لوثة الشيوعية بمذهبها الاقتصادى والرأسمالية بفوارقها الجائرة ، ولقد احتار الباحثون وأهل المشورة . . . هل نترك الكتاب كما هو ، أم نحقق ما تركه الشيخ الغزالى ، فنحذف ما عدَّل من آراء وأطنب فى أخرى وأوجز فى بعضها - ربما لأنه أدرك أن سيئات الإقطاعيين أزكى من حسنات الثوريين وأن الخطيئة عولجت بجريمة! . . ولما كانت قيمة الآراء تكمن فى التوقيت الصعب الذى ظهر فيه الشيخ الغزالى ـ مشهراً رأيه كالسيف المسلول ، لم يبال بخطورة ما أذاعه ودوى بين الأوساط العلمية ورجالات الفكر والاقتصاد وعلماء الأزهر ـ . . فقد تركنا متن الكتاب كما هو وليسهل التأريخ لتلك الفترة بمقياس دقيق وليدرك القارئ أن الغزالى لم يكن يقل عن رائدى الفكر الاقتصادى والاجتماعى بل تفوق عليهم جميعاً بما مزجه من سعة فى الفقه ومقاصد الشريعة . .

ولم يسبق الشيخ الغزالى أحد من المفكرين إلى تلك الآراء ، بل تميز بها وحده وتبناها أهل الفكر والاقتصاد من بعده ، ولا ننكر أن الآراء كانت الأولى فى هذا التوقيت ولم يسبقه إلى ذلك أحد من الكتاب والمفكرين . .

فتراه مثلاً : يطالب بتحديد الملكية وتقييد ملكية الإقطاع الطامع ، والحد من سلطان المَلَكيَّة المستبدة ، وفضْح مساوئها . . ، وتعديل الدستور بما يلائم حياتنا الإسلامية . . . ، وهى مبادئ تبنتها حركة يوليو ١٩٥٢ . واستدل على آرائه بآيات وأحاديث ومواقف من حياة الصحابة والتابعين وآراء العلماء البارزين فى مجال الدعوة .

إن جرأة الآراء تكمن فى الظروف والتوقيت الذى قيلت فيه ، وعلى مسمع من ذوى البطش والسلطان . .

والشجاعة والجرأة والصدع بالحق لا يكون بعد الأوان ورحيل الأحياء لعالم الموت والأفول ، فكم من ناقد أو كاتب تناول الزعماء وذوى السلطان بالنقد والتعييب لكن بعد موتهم وخلو الساحة منهم . ! لكن شيخنا كان يصدع بما يأمره الإسلام ، ولا يبالى بسوء العاقبة فى الدنيا تاركاً نفسه فى معية الله وحده . . وكانت غايته أن يبلغ كلمة الله وينقى الإسلام من لوثهم . .

ولقصر قامتنا فى التأريخ لتلك المرحلة التى ظهر فيها الكتاب ، وعن الشيخ الغزالى ، نترك الدكتور يوسف القرضاوى ليسجل ذاكرته عن تلك الأحداث التى عاصرها فقال تحت عنوان (الغزالى الشاب فى قلب المعركة) - « . . . ظللت أتابع الشيخ فيما يكتب فإذا هو يخوض معركة بالغة الخطر ، كان هو فارسها المقدام ، ورائدها الأول ، وكان سلاحه فيها قلمه الصُّلْب الذى لا يكسر ولا يفلّ .

تلك هى المعركة ضد الظلم الاجتماعى والامتيازات الطبقية ، والفوارق الاقتصادية الفاحشة ، التى جعلت بعض الناس يزرعون القمح ويأكلون التبن ، ويزرعون القطن ويلبسون « الخيش » ويبنون العمارات الشامخة على أكتافهم ، ويسكنون هم وعائلاتهم فى « البدرونات » على أحسن الفروض ! على حين يعيش آخرون غرقى فى الذهب والحرير دون أن يقدموا للحياة عملاً . . . »[1] .

* * *

وقد اضطرب مصطلح الاشتراكية بين مفهوم الجماهير فقصدها أهل الاعتدال بالعدل الاجتماعى والتوازن والكرامة الإنسانية ، وحوّلها البعض من الشيوعيين والماركسيين إلى مذهب اقتصادى ذاد الفقير إلصاقاً بالتراب وذبح الغنى ذبحاً بلا هوادة . . !!

وهى أولاً وأخيراً مسألة اقتصادية اجتماعية دقيقة . . حين يتكلم عنها أحد لابد وأن يكون خبيراً ، عليماً بعناصر وزمام الاقتصاد . .

يقول الدكتور القرضاوى « **. . . لم يدرس الشيخ الغزالى الاقتصاد ولم يطلع على مدارسه ومناهجه - اشتراكية ورأسمالية - اطلاع المدقق الخبير ، إنما عرف روح هذه الفلسفات وأساس هذه الأنظمة واعتقد أن الاشتراكية - وهو يُعنى المثالية منها - تقف مع الكادحين والمستضعفين ، الذين وقف دائماً فى صفهم باسم الإسلام . .** »[2] .

* * *

١ ، ٢ د/ يوسف القرضاوى - الشيخ الغزالى كما عرفته- رحلة نصف قرن - دار الوفاء ط ١٩٩٥ ص ١٢ .

وهذا الكتاب هو من مجموعة الكتب السياسية - الاقتصادية - الاجتماعية التى كتبها الشيخ فى العشر سنوات التى سبقت الثورة فى ظروف حالكة ، تعرض فيها بسبب تلك الآراء للسجن والاعتقال والتضييق ... ومع ذلك يكتبها عن يقين بأمانة البلاغ ..

وهذه الكتب هى الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، والإسلام والمناهج الاشتراكية ، والإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ، والإسلام والاستبداد السياسى ، ومن هنا نعلم ... وعن هذه الكتب قال الشيخ الغزالى : « **لقد ألفت فى السنوات العشر التى سبقت ثورة يوليو ١٩٥٢م خمسة كتب استوعبت حقائق الإسلام فى هذا المجال ، وصورت بأمانة اتجاه الإسلام الاجتماعى من الناحيتين السياسية والاقتصادية .**

وإذا كان فى هذه الكتب - وهى بعض ما ألفت قبل الثورة - عيب فهو حماس الشباب ، وغلوه فى تشخيص الداء وتركيب الدواء ، وهو عيب تتطاول به أعناق اليوم وتزعمه مجدها التالد .. !! »[1] .

وبهذا التواضع الجام يحاسب العَالِم نفسه ويراجع ويعطى الرأى لوجه الله وحده ويساند رأيه بالدليل ويحارب بغية إجلاء الأفهام ويسعى لإزالة الستار عن الحقائق ..

وحينما قلت له : كان يمكن يا فضيلة الشيخ أن تُحَاكَم ولا يدرى بك أحد فى السجون .. !

قال : كان لابد أن أذيع رأى دينى الذى اعتنقت ..

ثم قال : ما هو قولك لربك إن عشت مدركاً عارفاً ومت كاتماً مانعاً ؟! ..

بأى وجه تلقى الله ؟ وماذا تقول ؟ .. والله بئست الحياة هذه إن عشت شيطاناً أخرس .. !!

* * *

أما عن منهجه فى كتابة هذه الدراسة[2] الواعية فقال الشيخ الغزالى :

« **لم أجنح فى هذه الدراسة إلى المقارنة بين نظام ونظام ، أو المفاضلة بين مذهب ومذهب ، من هذه الأنظمة والمذاهب التى تمخض عنها تطور الفكر**

(١) محمد الغزالى - معركة المصحف فى العالم الإسلامى - ط دار نهضة مصر - ١٩٩٧ - ص ٢١٥ .
(٢) الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين .

الإنسانى فى العصر الأخير ، فليس هذا ما يعنينى ، ولست أملك العدة اللازمة لاستقصاء البحث فيه ! وإنما ألفت هذه الرسالة ورتبت فصولها المحدودة لغاية واحدة ، هى إعطاء القارئ صورة صادقة عن الفكرة الذاتية للدين ، والروح العامة لمبادئه ، والموقف الذى قد يقفه بإزاء الأفكار الاقتصادية المختلفة ، وللقارئ بعدئذ أن يقارن ويفاضل ويستخلص من النتائج ما يشاء .

وحاشاى بهذا الكلام أن أقحم الدين فيما ليس له ، أو أن أحمله من الآراء ما لا شأن له به ، فما إلى هذا قد قصدت . كل ما أبغيه أن أنصف الدين من سوء الفهم ، وسوء الاستغلال . فقد أنكرت الشيوعية الدين ، لأنها حسبته مخدراً للشعوب ، ومسكناً لآلام الطبقات المظلومة ، وصارفاً لهمم أبنائها عن المطالبة بحقوقهم المضيعة . واحتقرت الرأسمالية الدين ، إذ توسلت به إلى إشباع المطامع الجشعة وإقرار الفوارق الجائرة ، وتعويق النهضات الحرة ، والدين مظلوم بين من كفروه ومن حقروه : بين الشيوعية المتطرفة والرأسمالية المتعجرفة ! ولابد من أن نكشف عن حقائقه ، وأن نبين عن معالمه ، لنرد عنه سوء الفهم وسوء الاستغلال جميعاً . والسبل العادلة إلى ذلك هى تحديد موقفه من نصوصه نفسها » .

والشيخ الغزالى بما ملك من حس نابض باليقين كان أول من كتب فى هذا المجال واستبحر فيه وجعل قضيته الأولى وقتئذ انصاف دينه من التهم والوقوف بجانب المنكوبين والفقراء فى هذا البلد . .

وعن قصة كتاب « الإسلام المفترى عليه . . » قال الدكتور القرضاوى : « . . . إن الشيخ الغزالى كتب جملة مقالات فى مجلة الأخوان ضمها فيما بعد كتابه الثالث «الإسلام المفترى عليه . . . » وكان ذلك قبل أن يصدر الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - كتابه « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » وقد كتب فى قائمة مراجعه - بالطبعة الأولى كتابى الغزالى : الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، والإسلام والمناهج الاشتراكية . . . ، وفى مجلة الفكر الجديد - وهى مجلة ثورية تعنى بالمسألة الاجتماعية وتستلهم الإسلام ، ولم تستمر أكثر من بضعة أشهر وكان الغزالى أحد كتابها . . »[1] .

(١) د/ يوسف القرضاوى - الشيخ الغزالى - مرجع سبق ذكره ص ١٤ .

ومقالات الشيخ لم تكن من برج عاجى ، بل من واقع الحياة البائسة التى يعيشها الشعب المنكوب . . هكذا عاش الشيخ حياته مجاهداً صادعاً بما يؤمن أنه الحق . .

وفى تلك الأثناء التى حارب فيها الملكيات الطاغية وشيوع الظلم وانهيار الموازين الاجتماعية الاقتصادية . . . يجد مفتى مصر - وقتئذ - قد أعلن حماية الملكيات وكأنه يعطى التصريح لمزيد من الطغيان وبعثرة الكرامة الإنسانية . .

حول تلك الذكريات يستطرد الدكتور القرضاوى عن الغزالى فيقول :

« ويناقش (المتحدث الرسمى للإسلام) - المفتى فى ذلك الوقت - فى دفاعه عن الملكيات الكبيرة فى مصر ، ومدى شرعيتها ، وكيف اكتسبت ، ثم كيف نمت واتسعت ، ومن قرأ مناقشة الشيخ هنا بتأمل وإنصاف ، وجدها تدل على أصالة فقهية ، وملكة فطرية ، صقلتها الدراسة الأزهرية ، مع الاستعانة على إنضاج الفتوى بقراءة التاريخ ، واستقراء الواقع . فالمفتى الحق هو الذى يزاوج بين الواجب والواقع ، ولا يتقوقع على الأقوال النظرية ، معزولاً عن الناس والحياة .

وفى رأيه أن فقه العبادات قد اتسع واستبحر أكثر مما يلزم ، والقليل منه يكفى ، ولفت النظر إلى العناية بالفقه الدستورى والسياسى والاقتصادى والمدنى ، مما يحتاج إليه المجتمع المعاصر .

وهو أميل إلى مدرسة الرأى منه إلى مدرسة الأثر ، وكثيراً ما أبدى إعجابه بمذهب أبى حنيفة فى عدم إثبات الفرضية أو التحريم إلا بنص لا شبهة فيه ، وبمذهب مالك فى الاحتجاج بالمصلحة المرسلة ، وتقديم عمل المدينة على أحاديث الآحاد » .[1]

وكتاب الإسلام المفترى عليه . . . كان الدراسة الواعية ورد فعل طبيعى لمظاهر الجور والتعسف ، ولا نحب هنا أن نحكى الكتاب ، بل الأصوب أن نترك القارئ والكتاب أو كما قال الشيخ الغزالى نفسه : ـ . . للقارئ أن يقارن ويفاضل ويستخلص من النتائج ما يشاء . .

وهذا هو إعمال الفكر . . فليس محمودا أن تقدم الأراء على موائد من ذهب دون أدنى تفكير من القارئ ، فإن منهج الإسلام هو العقل والتفكير . .

(١) د / يوسف القرضاوى - الشيخ الغزالى . . . . - مرجع سبق ذكره ص ١٥٢

ولكن السؤال الراهن : هل تراجع الشيخ الغزالى عن آراء أوردها هذا الكتاب ؟

هذه الإجابة تحتاج لأولى البصيرة والألباب ، وإنما الواقع أن الشيخ لم يلغ رأيا أو ينفه وإنما كان خلفه دائما شعور بالثورة على الظالمين . . .

ربما أخذ شكل الحماس حينا والهدوء حينا آخر ولكن الأمر المستفاد أنه لم يسكت عن غلو المظالم . .

يقول الدكتور يوسف القرضاوى فى عرضه كتاب الإسلام المفترى عليه .

إن الشيخ الغزالى : « كان يغلب عليه حماس الشباب ، والثورة على الظلم الاجتماعى وربما عدل الشيخ بعد ذلك عن بعض هذه الآراء ، أو ضبطها وقيدها ، ولكن الذى يهمنا منها دلالتها العامة فى فقه النفس عنده .

ومن أبرز النماذج ـ : حديثه عن الملكية : هل تقييد أولا ؟

فلنقرأ ما يقول الشيخ . . فى كتابه «الإسلام المفترى عليه» . .» .[1]

ويقرر الشيخ الغزالى ـ نفسه ـ هذا الأمر حين يقول : « إذا كان فى هذه الكتب ـ وهى بعض ما ألفت قبل الثورة – عيب فهو حماس الشباب ، وغلوه فى تشخيص الداء وتركيب الدواء وهو عيب تتطاول به أعناق اليوم وتزعمه مجدها التالد . . » .

وسبب تقييد بعض الأراء لا انكارها – أن الأمال المتعلقة بالثورة باءت بالخيبة وكما يقول الدكتور عبد الحليم عويس : تبين أن سيئات الإقطاعيين اذكى من حسنات الثوريين ! وأن خطيئة الأقطاع وإفقار البشر كانت أقل فداحة من لوثات الثوريين فى معالجة الأمر . . فكانت جرائم . . .

ولما أظهرت الأيام ما يخفيه الغيب ووضحت أغراض الاشتراكيين ونيّاتهم قال الشيخ فيما بعد :

«لابد من كشف لأولئك الاشتراكيين العرب ! فقد كان فهمهم وتطبيقهم للاشتراكة موضع التندر للعدو والصديق . . وكانت النهاية التى أوصلوا إليها الأمة إفقار الأغنياء ، واتعاس الفقراء ، واعزاز من أذل الله وإذلال من أعز الله . .

---

(١) الغزالى كما عرفته – مرجع سبق ذكره ص ١٥٢ .

وبدا أن خصومتهم للإسلام شديدة ولكنهم اتأدوا فى الإعلان عنها ، فدعوا أولا إلى اشتراكية إسلامية ، ثم قالوا : اشتراكية عربية ، ثم قالوا : تطبيق عربى للاشتراكية الواحدة ، ثم قالوا : الاشتراكية . . وحسب . .

وظهر أن التوجيه كله إلى الماركسية فى نهاية المطاف . . أما هم فى معايشهم الخاصة فملوك غير متوجين يستقدمون من الشرق والغرب ما لذ وطاب لهم ولأهليهم ولمن لاذ بهم . .

وهكذا تحت عنوان «الاشتراكية» تنفست ضغائن خسيسة ، وأشبعت شهوات جامحة ، وشقيت جماهير غفيرة ، حتى أن مصر التى كانت أكثر أقطار الأرض رخاء ، تحولت إلى بلد بائس مثقل بالديون مثخن بالجراح . .!!» .(١)

وكان هذا رأيه فى الثوريين ، فبعد أن أمدهم بالفكرة ووضع مبادئها وجدها تنفذ بغير وعىّ ولم يرد بها وجه الله وكانت تعبيرا عن متنفس الأحقاد الكامن فى النفوس .

ولما ذادت سطوتهم قال فى موضع آخر .

«إن الحملة على الإسلام ماكرة ماهرة ، وروافد القوة التى تمدها من الخارج شديدة عنيدة ، وقد رمقتها فى ظل النظامين الملكى والجمهورى فلم أتبين فروقا ذات بال .

وقد هادنت بعض المصطلحات بغية سوقة إلى المصير الإسلامى على مر الزمان ، بيد أن أعداء القرآن لم تزدهم الأيام إلا قسوة قلب وغباء فكر . . .

إنهم يريدون الخلاص من الإسلام على أية حال لكنهم إلى اليوم فاشلون . . .

إن الجماهير المسلمة لم تنس دينها على كثرة المنسيات ، ولم يضعف حنينها إلى العيش فى ظله برغم ما صنع الغزو الثقافى بعد الغزو العسكرى . .

لكن هل يقف خصوم الإسلام عند هذا الحد ؟

وهل يستكينون عند هذه النتائج ؟

---

(١) محمد الغزالى - معركة المصحف - مرجع سبق ذكره ، هامش ص ٢٤٦ .

إن محاولاتهم لهدم أركان الإسلام لا تنتهى ، وستظل جهودهم متراكضة كى يذودوا الشعوب عنه ، ويمنعوها إنفاذ أحكامه وإحياء شعائره » .[1]

وتظهر ثمة أمر أخير هل هذه الآراء تلغى لسوء تطبيقها ، بالطبع لا ، فليس العيب عيب الرأى ! وإنما العيب فيمن يطبق ويستغل عدالة واشتراكية الإسلام فيفقر البشر أو يستغل حرية التجارة فيكنز ويهلك من حوله . .

ستبقى الأراء لأنها من لب الإسلام وقلبه ولأن التاريخ يعيد نفسه وأناس يظهرون فى نفس الجلباب ولكن بمسميات أخرى .

رحم الله الشيخ الغزالى .

« **المحقق** »

يناير ١٩٩٧

(١) محمد الغزالى - معركة المصحف - ص ٢٥٣ .

تمهـــــيد

فى الطبعتين الأوليين[1] من هذا الكتاب كتبنا نقول :

«لا نحب أن نرائى الناس بجهاد قمنا به فى سبيل الله ، أو تضحيات تكبدناها لخدمة المسلمين ، فنحن نحمد الله أن كانت مغارمنا للحق ، لا للباطل .

ولئن مددنا أبصارنا ، فوجدنا طريق الرجولة مفروشا بالأشواك ، ومضرجا بالدماء : فإن عزاءنا فى الدنيا ـ إلى جانب ما نرجو فى الآخرة ـ أن طريق الخيانة والنكوص ، قد كلف أصحابه شططا ، وأذاقهم ويلا . . .

وإنما يحزننا أن تقوم ضدنا حملة افتراءات لئيمة ، تتخذ من عملنا للخير دليلا علينا ، ومثارا للنيل منا . .

إذا دعونا إلى إطعام المحروم ، وتشغيل العاطل قالوا : شيوعيون ! .

وإذا بذلنا من كسبنا الحر ، قالوا : متصلون بكذا وكذا . . .

وإذا ناقشنا بالحسنى ، قالوا : خطر على الأمن ! .

والغريب أن مادعونا إليه منذ سنين ، أصبح اليوم منهاجا تنادى به أحزاب وهيئات !

فعيبنا أننا سبقنا الزمن . . .

وأننا بذلنا حيث يبخل غيرنا . . .

وتقدمنا عندما نكص كثيرون . .

وعيبنا أننا نريد خدمة الإسلام بأساليب العصر الجديد .

على حين يظن فريق من الناس أن هذه الخدمة ممكنة بالكهانة الجامدة ، والروح الباردة ، والقراءة الخالية من الفقه و الأفكار التى سادت عهد المماليك ! ! .

وعلى كل حال فنحن ماضون إلى غايتنا ، من عمل للإسلام ، وعمل للأمة ، سائلين الله أن يرزقنا التوفيق والسداد ، فى هذا اللون من الجهاد » .

***

(١) الأولى : ديسمبر ١٩٥٠ و الثانية : يناير ١٩٥١ ، وقد طبع هذا الكتاب أربع طبعات من قبل كانت الأخيرة ١٩٥٥ .

واليوم تصدر هذه الطبعة ، وفى الشرق دوى هائل للعمل الضخم ، الذى حققته عناية الله فى مصر

لقد طرد مليكها الغر : «فاروق» شر طردة ، وهتكت الأستار عن الفضائح المخزية ، التى طالما ارتكبها هذا الفاسق وأعوانه . وتمت هذه الآية على يد الجيش !! الجيش الذى حسبه الطغاة سنادا لهم ، وأبى الله إلا أن يكون هلاكا عليهم ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١) .

وودنا لو انجابت ظلمات الليل الخيم ، على بلاد الإسلام كلها ، فاختفت من آفاقها الداكنة بقية الطواغيت ، التى مازالت تعيث فسادا هنا وهناك ! ! .

إنما نحس بأن كتاباتنا المتواصلة ، بدأت تؤتى ثمارها ، وأن سهمنا كبير فى هذا النصر المبين .

إن الحملات التى شنناها على الأصنام ، قد انتهت بتحطيم أكبر الأصنام قدرا .

والجهود التى بذلناها لتجرىء الجماهير على أخذ حقوقها وتحقير جلاديها ، نجحت في إيغار الصدور على الباغين ، وتكثير السواد المتألب ضدهم ، وتقليل العبيد ، الذى طالما عاشوا فى خدمتهم .

وسوف نظل على هذا النهج الواضح ، نهتف بالحق ، ونشغب على الباطل قدر ما نستطيع ! ! .

* * *

وقد أضحكنا أن رجالا لم يخطوا حرفا فى حرب الظالمين ــ بل كانوا فى جملة المداهنين الصغار ــ أخذوا يزعمون أنهم فقهاء الثورة وسدنتها ، بل إن بعض الصحف لم تستح أن تلقب أحد «الباشوات» بأنه فيلسوف الانقلاب ! ! ..

ولنترك الفخر يتنازعه طالبوه ، فما يعنينا إلا أن يتحقق الإصلاح ، وتوضع الأزمة فى أنظف الأيدى .

---

(١) النحل : الآية ٢٦ .

بيد أننا نعجب من طبائع العبيد ، التى تريد أن تتصور الأعمال الكبيرة منسوبة إلى ذوى الحول والطول فحسب ! ! .

إن هذا الكتاب نشر أغلبه فصولا متفرقة ، على نحو ثلاثين عددا من مجلة «الإخوان المسلمين » .

وهو وأخواه[1] اللذان أصدرتهما قبلا ، أول ما خط فى اللغة العربية من كلام فى هذا الموضوع .

وكان هذا الكلام مستغربا فى ميدان الدين والأدب والسياسة .

ثم مرت الأيام ، فإذا به مصدر الاتجاهات الحرة فى هذه الأنحاء ، وركيزة الثورات الناجحة المشرقة . . .

ويسوؤنى أن أسوق حديثا عن شخص ، وعذرى أن أدفع الظنون التى قد تتجه إلىّ ، فقد أُحْسَبُ ناقلا عن الآخرين ، أو منساقا فى تيار الثائرين .

والحقيقة ، أنى بدأت السير وحدى ، ثم أدركنى بعد من أربى وأجاد ، وعلى أية حال ، فلم يكن الوالد الروحى لهذه النهضات واحدا من الباشوات السابقين [2] أو الكبار المرموقين .

محمد الغزالى

---

(١) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، والإسلام والمناهج الاشتراكية .

(٢) قيل : إنه الدكتور طه حسين ، وقيل : إنه الأستاذ لطفى السيد .

مقدمـــــة

كادت هذه الصحائف تضيع فى أثناء الأزمة العصيبة التى أصابت الفكر والقلم ، وطمست الحقوق والحريات ، على عهد الاحتلال الداخلى للإدارة المصرية ، أيام حكم الأقليات السياسية سنة ١٩٤٤ ـ ١٩٤٩ .

كانت سنوات عجافا ، تعرض فيها الشرف والضمير ، لأزمات ساحقة قُتل مَنْ قُتل من الرجال ، وسُرق ما سُرق من الأموال .

ولئن ذكر التاريخ أن أرض مصر شهدت عصرا للاضطهاد الإسرائيلى أيام الفراعنة ، ثم عصرا للاضطهاد المسيحى أيام الرومان ، فإنه لن ينسى أن يسجل كذلك قصص الخزى والعار ، والحديد والنار ، التى وقعت لأنصار الإسلام ، ودعاة نظامه ، أيام الأقليات الحاكمة بأمرها ، فى هذا البلاد المحزونة الحائرة .

ولقد استطعنا ـ ولله المنة ـ استنقاذ هذه الصحائف من براثن العدم ، برغم أن كثيرا من غيرها ضاع فى خلال الإرهاب المنظم ، الذى خرب البيوت وفتح المعتقلات ، الإرهاب الذى يعد حيازة مجلة صدرت تحت سيطرة الرقابة جريمة تقذف بمرتكبها فى ظلمات السجون [1] !! لأنها تصرح بأن الإسلام أساس لحكم يقوم على الحرية والأخوة .

وكان فى جملة التهم التى وجهت إلينا ـ فى غير حياء ـ أننا شيوعيون ! .

كأن كل دعوة للعدالة الاجتماعية ، لا تجد لها تفسيرا فى منطق لصوص الحكم إلا أن ترمى ذويها بالإفك ، وتفصل بينهم وبين الإسلام ! .

والاتهام بالشيوعية ، كالاتهام بالرأسمالية ، أمر نضيق به ، ونتوسم فى قائليه سوء الفهم ، أو سوء النية ، أو هما معا .

ولقد نشرت فى الكتابين السابقين لهذا الكتاب ، بحوثا مستفيضة عن حقيقة النظام المالى فى الإسلام ، أو ما سميناه على سبيل التجوز « الاشتراكية الإسلامية » .

(١) تعرض الإخوان المسلمون وقتها للتنكيل وكان من يضبط لديه مجلة الإخوان يلقى جزاء وفاقا ويلقى غيابات السجون .

وأستطيع القول : إننا أسخطنا الرأسماليين والشيوعيين جميعا بهذا النهج الذى جنحنا إليه ، إذ كنا أقدر من الشيوعيين على تجريح الرأسمالية وأصابة مقاتلها ، وكنا ـ فى الوقت نفسه ـ أقدر من الرأسمالية على مكافحة الشيوعية ، وسد الأبواب فى وجهها .

موافقات ومفارقات :

إن الإسلام عقيدة ونظام . والنظام ـ فى ديننا ـ يتبع العقيدة ، على خدمتها ، أو هو امتداد مطلق لآثارها وفضائلها ، فهو تابع لها أبدا .

وقد يأخذ أشكالا مختلفة على مر الأزمنة .

بيد أن ذلك ، يشبه اختلاف الوسائل مع اتحاد الغاية . ! .

وقد يظن السطحيون أن وجود مبادئ معينة فى النظام الإسلامى ، قد تميل به نحو اليمين أو اليسار ، وذلك خطأ .

فإن مبدأ الملكية ـ مثلا ـ قد يشترك ـ فى الاعتراف به ـ النظام الإسلامى والنظام الرأسمالى .

وتحريم الفائدة الربوية قد يشترك فيه النظام الشيوعى والنظام الإسلامى .

وليس معنى هذا أو ذاك أن الإسلام رأسمالى أو شيوعى .

إنه منهج مستقل ، يستقى من طبيعته الدينية ، ثم يمضى فى مجراه المرسوم لنفع الناس ، وحماية مثلهم العليا .

والحالة الاجتماعية التى نعيش فيها ، تفرض علينا أن نذكر عن الإسلام هذه الحقائق التالية :

(١) إنه لا يعترف بملك من حرام ، ولا بكسب من سحت .

(٢) إنه لا يجيز معاوضة الجهد الشاق بأجر بخس ، ولا مكافأة العمل التافه ، بأجر كبير .

(٣) إنه لا يبيح التعطل والتسول والفوضى ، ويعد الحكومة مسئولة عن بقاء هذه الآفات .

***

والاشتراكية الإسلامية تعتمد المبادئ الرفيعة أولا ، ثم تقيم الأشكال المادية المناسبة لها ، وتستعين على ذلك بقوة القانون .

فالأخوة العامة مبدأ والدولة مسئولة عن تنفيذه ، وعن هدم أى وضع مادى ينافيه .

والترف مرض اجتماعى ، والدولة ملزمة أن تضع من التشريع وتتخذ من الوسائل ما يمنعه .

والفضائل الإنسانية ضرورة لابد منها ، والدولة مسئولة عن القوالب المادية التى تصوغها لحفظها .

وقد يتقاضاها ذلك أن تقنن على النحو الذى تسير عليه ، روسيا أو أمريكا .

لكن هذه القوانين لن تكون روسية ولا أمريكية ، مادام الدافع إليها ، والغرض منها إسلاميا مجردا .

الخطر الأحمر :

لما قامت الحرب العظمى الأخيرة ، وانضمت روسيا إلى معسكر الحلفاء ، انفتحت مغاليق الشرق الإسلامى أمامها ، وتبادلت دُوَلُهُ التمثيل الديبلوماسى معها .

وقد تولد عن ذلك الاتصال خير وشر .

فإن القارونية الكانزة توجست السوء على مستقبلها .

ففكرت فى أن تخفف من غلوائها ، وأن تغل قليلا يدها المبسوطة بالأذى للطبقات الكادحة .

غير أن هذه النوايا الحسنة لم تترجم بعد إلى ميدان الواقع المحسوس .

فكان هذا النظام العتيق يشبه اللص الذى ينوى المتاب مخافة السجن ، ثم يغريه ضعف الملاك ، وغفلة الشرطة ، فيظل على إجرامه لا يتحول عنه .

ولا ننكر أن طائفة من الإصلاحات قد تمت .

وهذا جميل . . ، ونريد المزيد .

فالعطشان الذى تبل صداه قطرات الماء لا تنقع غلّته إلا النطاف الصافيات .